ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٥٩) - اعرف امامك (ج٥٨)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(51)
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق٢٨)
الشأن (٤) - التعمق في عقيدة التوحيد (ج٢)
الخميس : ٢٨/شوال/١٤٤٢هـ - الموافق ١٠/٦/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

في (مختصر البصائر) ، هذه بصائرُ سعد الأشعري في أصلها، وهذا الاختصارُ للحسنِ بن سُليمان الحلي / طبعةُ مؤسَّسة النشر الإسلامي / قم المقدَّسة / حديثٌ طويلٌ حديثٌ مُفصّلٌ، بداياتهُ في صفحة ٣٢٧ / رقم الحديث (٣٥٤): **الحديثُ بِسَنده، عَن يُونس بنِ ظَبيَان رَحمةُ الله عَليه، عَن إمَامنَا الصَّادقِ صَلواتُ الله وسَلامهُ عَلَيْه** - سأذهب إلى موطنِ الحاجةِ الَّذي يأتي في السياقِ نفسه حيثُ حدَّثنا أميرُ المؤمنين في نهج البلَاغة عن المتعمّقينَ المهدوِيين زمانَ الغيبَة الطويلة، إنَّهُ في زماننا هذا، في وقتٍ سبقَ، في وقتنا الحاضرِ وفي وقت سيأتي.

بعد بيانات وتفصيلٍ طويلٍ يصلُ إمامنا الصَّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه إلى هذه النقطة: **فَإذَا بَلَغَ هَذه الْمَنْزلَة** - من هو هذا الَّذي بَلَغَ هذه المنزلة؟ إنَّه وليٌ من أوليائهم، إنَّهُ عارفٌ من العارفينَ بهم، لا أتحَدَّثُ عن عُرفاء الشيعة، لا شأن لي بهم أولئكَ صوفيّةٌ، حينَ أتحدَّثُ عن العارفينَ أتحدَّثُ عن العارفينَ في أجواء ثقافة العترة الطاهرة، أتحدَّثُ عن هؤلاء، أتحدَّثُ عن الَّذين تحدَّثت عنهم (مناجاة العارفين) المرويّةُ عن إمامنا السجَّاد - **فَإذَا بَلَغَ هَذه الْمَنْزلَة جَعَلَ شَهْوَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ في خَالقه** - وإنَّما تتحوَّلُ كُلُّ هواجسه باتجاه خالقه لأنَّهُ قد لامسَ الإخلاصَ في توحيده، وإنَّهُ لن يلامسَ حقيقةَ الإخلاصَ إلَّا بعدَ التعمّقِ، بعدَ التعمّقِ في شؤون عقيدة التوحيد وفقاً لقُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم لا بتفسيرِ نواصبِ السقيفة، ولا بتفسيرِ نواصبِ النَّجف، بتفسيرهم، ووفقاً لحديثهم المفهَّمِ بتفهيمهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، من هنا وضعوا لنا القانون من أنَّنا إذا أردنا أن نعرفَ منازلَ الشيعة عندهم علينا أن نعرفهم وفقاً لهذا الميزان؛ (**اعْرفُوا مَنَازلَ شيعَتنَا عنْدَنَا** - عند إمام زماننا - **بقَدر مَا يُحْسنُونَ من رواياتهم عَنَّا وفَهْمهم منَّا**)، أعودُ إلى حديث إمامنا الصَّادق صلواتُ الله وسلامه عليه: **فَإذَا بَلَغَ هَذه الْمَنْزلَة جَعَلَ شَهْوَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ في خَالقه، فَإذَا فَعَلَ ذَلكَ نَزَلَ الْمَنْزلَةَ الكُبْرَى** - ما هي هذه المنزلةُ الكبرى؟ يأتي بيانها بشكلٍ إجمالي - **فَعَايَنَ رَبَّهُ في قَلْبه** - هذه هي آثارُ المنزلة الكبرى، نحنُ لا نستطيعُ أن نُعرف المنزلة الكبرى بما هي هي، هذا المعنى يُدركه أصحابهُ وأنَّى لنا بذلك، لكنَّنا نستطيعُ أن نتلمّس شيئاً من خصائصها عبر آثارها الَّتي بُيّنت لنا في كلماتهم الشريفة - فَإذَا فَعَلَ ذَلكَ نَزَلَ الْمَنْزلَةَ الكُبْرَى فَعَايَنَ رَبَّهُ في قَلْبه وَوَرثَ الحكْمَةَ بغَيْر مَا وَرثَهُ الحُكَمَاء - كيفَ وَرثَ الحكمةَ؟ إنَّهُ فَيْضُ صاحبِ الأمر، مثلما قالَ أميرُ المؤمنين: (**يُغْبَقُونَ كَأسَ الحكْمَة بَعدَ الصَّبُوح**) ، بعد أن يشحذهم صاحب الأمر كما يشحذُ القَيْنُ النَّصل، من وراء ستار فتُجلَى أبصارُهم بالتنزيل ويُرمى بالتفسير في مسامعهم، الحكماءُ عند الناس في مختلف الديانات في مختلف الفلسفات، الحكماءُ لهم طريقٌ يصلونَ من خلاله إلى الحكمة، من خلال رياضات مُعيّنة، من خلال التفكُّر ومن خلال طول الصَّمت.

- **وَوَرثَ الحكْمَةَ بغَيْر مَا وَرثَهُ الحُكَمَاء، وَوَرثَ العلْمَ بغَيْر مَا وَرثَهُ العُلَمَاء** - لأنَّ العُلماء يرثون العلمَ بالطلب، بالقراءة والكتابة، بالدراسة والتحقيق، كما هو شأننا هكذا نتعلَّم وهكذا نُعلّم - **وَوَرثَ العلْمَ بغَيْر مَا وَرثَهُ العُلَمَاء، وَوَرثَ الصِّدْقَ** - المرادُ من الصِّدق هنا ليسَ الصِّدقَ في الكلام، هو جزء منه، وإنَّما المرادُ من الصِّدق هنا هو صدقُ الصِّدّيقيّة، وصدقُ الصِّدّيقيّة الوضوح التام، أنَّ معارفهُ، أنَّ معلوماته صادقةٌ ليسَ فيها من كذبٍ، ليسَ فيها من جهل، وُضوح الرؤية الكاملة، الانكشافُ التام.

مثلما قرأنا في (مناجاة العارفين): (**قَدْ كُشفَ الغطَاءُ عَنْ أبْصَارهم** - أقرأ عليكم من مفاتيح الجنان من مناجاة العارفين المروية عن إمامنا السجَّاد - **قَدْ كُشفَ الغطَاءُ عَنْ أبْصَارهم وَانْجلَتْ ظُلْمَةُ الرَّيْب عَنْ عَقَائدهم وَضَمَائرهم وَانْتَفَتْ مُخَالَجةُ الشَّكِّ عَنْ قُلُوبهم وَسَرَائرهم**) هذه هي الصِّدّيقيّة، وهذا هو الصدق الَّذي يشيرُ إليه إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله عليه.

وَوَرثَ الصِّدْقَ بغَيْر مَا وَرثَهُ الصِّدِّيقُون - الإمام ما قال بغيرِ ما ورثه الصَّادقون - **بغَيْر مَا وَرثَهُ الصِّدِّيقُون** - الَّذين هم أصحابُ الصِّدّيقيّة، فالصدقُ هنا هو من صدقِ الصِّدّيقيّة الَّتي هي أبرزُ صفة من صفات الصِّدّيقين.

-**إنَّ الحُكَمَاءَ وَرثُوا الحكْمَةَ بالصَّمت** - الصَّمتُ مثالٌ من الرياضات الَّتي يتَّبعها الَّذين يذهبون في طُرقِ ومسالك تحصيلِ الحكمة في مختلف الحضارات وفي مُختلف الديانات - **وَإنَّ العُلَمَاءَ وَرثُوا العلْمَ بالطَّلَب، وَإنَّ الصِّدِّيقينَ** - عندَ النَّاس في نظرِ النَّاس في نظرِ الديانات والأمم الأخرى - **وَإنَّ الصِّدِّيقينَ وَرثُوا الصِّدقَ بالخُشُوع وَطُول العبَادَة** - بحسبِ كُلِّ ديانة من الديانات، الإمامُ يتحدَّثُ عن حكيمٍ وعن عالمٍ وعن صدِّيقٍ مهدوي.

- **فَمَن أخَذَ بهَذه الصِّفَة** - بأيَّة صفة؟ بصفة الحُكماء الَّذينَ وَرثوا الحكمة بالصَّمت، وبصفة العُلماء الَّذينَ وَرثوا العلمَ بالطَّلب، وبصفة الصِّدّيقين، في نظرِ النَّاس، الَّذينَ ورثوا الصدقَ بالخشوعِ وطول العبادة - **فَمَن أخَذَ بهذه الصِّفَة، إمَّا أنْ يُسْفَلَ أوَ يُرْفَع** - من الَّذي يُسْفلُهُ ومن الَّذي يرفعهُ؟ الأمر كُلُّهُ بيد إمام زماننا، مثلما نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة نخاطبهم: (**وَأمْرهُ** - وأمر الله - **وَأمْرهُ إلَيكُم**)، وهذا يُترجَمُ في فقرةٍ أخرى من الزيارة الجامعة الكبيرة: (**إيَابُ الخَلْق إلَيكُم وَحسَابُهُم عَلَيكُم**)، هذا هو قانون التوفيقِ والخُذلان.

-**وَأكْثَرُهُم** - أكثر الَّذين يسيرونَ في هذا الاتجاه - **وَأكْثَرُهُم يُسْفَلُ وَلَا يُرْفَع إذْ لَم يَرْعَى حَقَّ الله** - هذا هو واقعُ الإنسان، وهذا هوَ واقعُ عُلماء الدين في كُلِّ الديانات، لا شأن لنا بالديانات الأخرى، نتحدَّثُ عن واقع علماء الشيعة، هذا هو واقعُ عُلماء الشيعة.

-**إذْ لَم يَرْعَى حَقَّ الله وَلَم يَعْمَل بمَا أمرَ به** - في بيعة الغدير أمرنا بأن نأخذَ الدين، وأن نأخذ العلمَ، وأن نأخذ التفسير، وأن نأخذ الفقهَ، وأن نأخذَ العقيدة السليمة منهم فقط.

وَلَم يَعْمَل بمَا أمرَ به، فَهَذه مَنْزلَةُ مَن لَم يَعرفْهُ - من لم يعرف الله - **حَقَّ مَعْرفته** - هؤلاء هُم الَّذين تقولون عنهم من أنَّهم نُوَّابُ صاحب الأمر، نُوّاب صاحب الأمر الَّذينَ بلغوا المنزلةَ الكبرى إذا صَدَقَ عليهم هذا الوصف، أنا لا أقولُ منَ أنَّهم نُوّاب صاحبِ الأمر لا أقولُ هذا الكلام، إنَّما أقارنُ بينَ هؤلاء وبينَ الَّذينَ تقولون من أنَّهم نُوَّابُ صاحب الأمر وهم غاطسونَ في مُخالفةِ إمامِ زمانهم.

-**فَهَذِه مَنْزِلَةُ مَنْ لَم يَعرِفُهُ حَقَّ مَعْرِفَته، وَلَم يُحبِّهُ حَقَّ مَحبَّته، فَلَا تَغُرَّنَّكَ صَلَاتُهُم وَصِيَامُهُم وَرِوَايَاتُهُم وَكَلامُهُم وَعُلُومُهُم** - حتّى الروايات الَّتي يتحدَّثونَ بها إنَّهم يذهبون إلى الروايات الَّتي تأتي مُنسجمةً معَ ذَوقِ النَّواصب، أئمَّتنا تحدَّثوا بلسان التقيّة وتحدَّثوا بلسان المداراة ووضعوا لنا القواعد الَّتي في ضوئها نُميزُ تلكَ الروايات وتلكَ الأحاديث حتَّى نتجنبها، مراجعُ النَّجف مَنذُ الطوسي وإلى يومنا هَذا إذا ما أرادوا أن يُحدِّثوا بحديثٍ عن أهلِ بيت العصمة ذهبوا إلى الأحاديث الَّتي لا يريدُ الأئمَّةُ منَّا أن نهتمَ بها، يذهبونَ إلى الأحاديث الَّتي تأتي مُنسجمةً معَ النَّواصب.

فَلَا تَغُرَّنَّكَ صَلَاتُهُم وَصِيَامُهُم وَرِوَايَاتُهُم وَكَلامُهُم وَعُلُومُهُم - ما يُسمّونهُ بعلم، كعلم الرجال مثلاً، هو جهالةٌ وضلالٌ، كعلم الأصول مثلاً، أتحدَّثُ عن أصول الفقه، وعن أصول الدين، كُلُّ هذا ضلالٌ وجهالةٌ - **فَإِنَّهم حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَة** - هذه الأوصافُ الَّتي أستعملها في أحاديثي هي الَّتي يستعملها أئمَّتي، تعترضون عَلَيَّ اعترضوا على أئمَّتكم، لماذا تعترضون عَلَيَّ؟

فَإِنَّهُم حُمُرٌ مُسْتَنْفِرة - حميرٌ هؤلاء، حُمُرٌ مُستنفرة، الإمامُ يُشيرُ إلى الوصف القُرآني حين يتحدَّث القُرآنُ عن حُمُرٍ مُستنفرة، لماذا استنفرت؟ مثلما جاء الوصفُ القرآنيُّ؛ فإنَّها قد فرّت من قسورة، القسورةُ هو صاحبُ الأمر صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه، مثلما يقول سَيِّدُ الأوصياء في رَجَزِه يومَ خيبر:

أنا الَّذي سَمَّتني أُمِّي حَيْدَرة ضُرغَامُ أجامٍ ولَيثٌ قَسورة

أكيلُكُم بالسَّيف كَيلَ السَّنْدَرَة ..

ويستمرُ إمامنا الصَّادقُ يتحدَّثُ مع يونس بن ظبيان، بعد أن قال فإنَّهُم حُمُرٌ مُستَنفرة - **ثُمَّ قَالَ: يَا يُونُس، إِذَا أَرَدْتَ العِلْمَ الصَّحِيحَ فَعِنْدَنَا أَهْلَ البَيت** - هذه المقاطعُ الَّتي تُعرَضُ على شاشة القمر مُستقاةٌ من عميقِ حديثهم، نحنُ لا نستطيعُ أن نعرض كُلَّ شيء على الشَاشة، فهذا الَّذي تسمعونهُ من حديث إمامنا الصَّادقِ مع يونس بنِ ظبيان هو من هذا الحديث - **فَإِنَّا وَرِثْنَاهُ وَأُوتِينَا شَرْعَ الحِكْمَةِ وَفَصْلَ الخِطَاب.**

في نفسِ هَذا السياق توجيهٌ مهمٌ من سيد الأوصياء لشيعته وهو يُحدِّثنا عن واقعنا:

في تفسيرِ إمامنا الحسن العسكري صلواتُ الله وسلامهُ عليه، هذا التفسيرُ الَّذي فضحَ وكشف عورات مراجع الشيعة، ولذلك يُحاربون هذا التفسير وينكرونهُ / طبعةٌ ذوي القربى / منشورات ذوي القربى / قم المقدَّسة / صفحة ٣٣ / الحديث السادس والعشرون عن أمير المؤمنين صَلواتُ الله وسلامهُ عليه: **يَا مَعْشَرَ شِيْعَتِنَا** - الخطابُ لي ولكم، نحنُ هكذا نقول من أنَّنا شيعةٌ لعليٍ وآل عليٍ صلواتُ الله عليهم - **يَا مَعْشَرَ شِيْعَتِنَا وَالْمُنْتَحِلِيْنَ مَوَدَّتَنَا** - المنتحلون؛ المعتقدون، المع تقدون بصدقٍ، لا تخلطوا بينَ استعمالِ لهذه الكلمة في معنىً آخر من أنَّ فلاناً انتحلَ شخصيَّةً غيرَ شخصيّته، انتحالُ الشخصيّة ذلكَ أمرٌ آخر، المنتحلُ لعقيدة؛ الَّذي يعتقدُ بها بصدقٍ، بغضِّ النظر أكانَ على حقٍّ، أم كانَ على باطل، انتحل الأمر؛ اعتقدَ به.

يَا مَعْشَرَ شِيْعَتِنَا وَالْمُنْتَحِلِيْنَ مَوَدَّتَنَا إِيَّاكُم، إِيَّاكُم وَأَصْحَابَ الرَّأي - الَّذين يقولون في الدينِ برأيهم، يعودونَ إلى عقولهم، يعودونَ إلى ثقافتهم الشخصيّة، يعودونَ إلى قناعاتهم الخاصّة بهم، إلى ما تكوَّنَ عندهم من بناءٍ عقليٍ وفقاً لمسارِ حياتهم، قد يأخذونَ كلام الآخرين ويتبنّونهُ مثلما يفعلُ مراجعُ النَّجف حينما يلجؤون إلى النَّواصب فيأخذونَ كُلَّ شيءٍ منهم..

-**يَا مَعْشَرَ شِيْعَتِنَا وَالْمُنْتَحِلِيْنَ مَوَدَّتَنَا إِيَّاكُم، إِيَّاكُم وَأَصْحَابَ الرَّأي** - لماذا؟ - **فَإِنَّهُم أَعْدَاءُ السُّنَن** - أعداءَ الأحاديث - **فَإِنَّهُم أَعْدَاءُ السُّنَن** - هذه سنةُ مُحمَّدٍ وآل مُحمَّد هذه سُننهم، أعداء السُنن سُنَّةُ مُحمَّد، سُنَّةُ علي، هذا الجمع سُنَّةُ فَاطِمَة، وسُننُ أولادِ فَاطِمَة من المجتبى إلى القائمِ صلواتُ الله وسلامهُ عليهم.

الإمامُ سيبيّنُ لنا يقول: **تَفَلَّتَت مِّنْهُم الأَحَادِيث** - فهذه السُنن هي الأحاديث، لماذا؟ - **أَنْ يَحْفَظُوهَا** - هم عاجزون عن حفظها، لأنَّهم يُعَلَّمونَ من البدايةِ أن يحفظوا أقوالَ المراجع وفي الوقتِ نفسه يُنفِّرونهم من أحاديث أهل البيت، فإذا ما أمسكَ أحدُ طلبةِ العلم الصغار بكتاب حديثٍ نهروهُ وقالوا لهُ من أنَّك لا تُميزُ الأحاديث الصحيحة من السقيمة، عُد إلى كُتب العلماء، هكذا ينشئون أصحابَ العمائمِ في النَّجف، وهم يسمعونني.

-**تَفَلَّتَت مِّنْهُم الأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا وَأَعْيَتهُم السُّنَّةُ أَنْ يَعُوهَا** - حتَّى لو حفظوا الأحاديث فإنَّهم لا يُدركون معانيها، وهذه المشكلةُ تُواجههم حينما أشرحُ الأحاديث بالأحاديث، وحينما أُسلِّطُ الضوء على النُّكات الدقيقة في كلمات المعصومين.

- **وَأَعْيَتْهُم السُّنَّةُ أَنْ يَعُوهَا** - فماذا فعلوا؟ - **فَاتَّخَذُوا عِبَادَ الله خَوَلاً** - عبيداً - **وَمَالَهُ دُوَلاً** - وعبثوا بمال الله تداولوه فيما بينهم، كُلٌّ أخذ حصّتهُ بحسبه بحدودِ مرجعيّته، المرجعيّةُ الكبيرةُ تأخذُ الحصّةَ الأكبر، والمرجعيّةُ الوسطى تأخذُ الحصّةَ الأوسط، والمرجعيّةُ الصُغرى تأخذُ الحصّةَ الأصغر..

-**فَدَلَّت لَهُم الرِّقَاب وَأَطَاعَهُم الخَلْقُ أَشْبَاهُ الكِلَاب** - هذا سنأتي عليه، ما عندي من وقت من أنَّ الَّذين يُطيعونَهم أشباهُ الكلاب ودُونَ الكلاب، سأعودُ إليه، ومن قُرآنهم ومن رواياتهم وأحاديثهم ليسَ من عندي، ومن الواقع الَّذي نعيشهُ.

-**وَنَازَعُوا الحَقَّ أَهْلَه** - أهلُ الحقّ هُم أهلُ البيت، نازعوهم، جلسوا في موضعهم، هناكَ من أصحابِ العمائمِ من هؤلاء التيوس والثيران من هؤلاء القذرين يُعلِّمون الشيعة في العراق وحتَّى في غير العراق: (**من أنَّ إمام الزمانِ الَّذي تجبُ معرفتهُ هو المرجع**)، يُعلِّمون الشيعةَ من أنَّ إمام زمانك الَّذي يجبُ عليك أن تعرفهُ هو المرجع، من تُف على إمام زمان بهذه الهيئة، تُف على وجهه، أيُّ إمام زمان هذا؟!

وَنَازَعُوا الحَقَّ أَهْلَهُ وَتَمَثَّلُوا بِالأَئِمَّةِ الصَّادِقِيْن - بمُحَمَّد وآل مُحَمَّد - **وَهُم مِنَ الجُهَّالِ وَالكُفَّارِ وَالْمَلَاعِيْن** - كُفَّارٌ لأنَّهم نقضوا بيعة الغدير، ونقضُ بيعة الغديرِ يُؤدِّي إلى الكُفر، هذه الفتوى ما هي من مراجع النَّجف، هذه الفتوى من الله، عودوا إلى الآيةِ السابعة والستين بعد البسملة من سورة المائدة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** - آيةُ بيعة الغدير لا تخفى عليكم - **وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾، القومُ الكافرون هُم الَّذين أنكروا بيعة الغدير وأكفرُ منهم الَّذين نقضوها، بايعوا ونقضوا، بايعوا وزوَّروا، مثلما يصفُ صاحبُ الأمر أكثرَ مراجع الشيعة في الرسالة الَّتي بعثَ بها إلى الشيخ المفيد وهو يُخاطبُ مراجع الشيعة: (مُذْ جَنَحَ كَثِيرٌ مِّنْكُم إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعاً وَنَبَذُوا العَهْدَ المَأْخُوذَ مِنْهُم وَرَاءَ ظُهُورِهِم كَأَنَّهُم لَا يَعْلَمُون).

-**وَهُم مِنَ الجُهَّالِ وَالكُفَّارِ وَالْمَلَاعِين فَسْئَلُوا عَمَّا لَا يَعْلَمُون** - سُئلوا عن حقائق الكتاب، عن حقائق ثقافة العترة، وهم لا يفقهون منها شيئاً، والدليلُ دروسهم، كُتبهم، مواقعهم الإلكترونية، فضائيّاتهم، وكلائهم، أولادهم، أصهارهم، حمير حمير بالمعنى الكامل لهذه الكلمة، حمير - **فَسْئَلُوا عَمَّا لَا يَعْلَمُون فَأَنفُوا أَنْ يَعْتَرِفُوا بِأَنَّهُم لَا يَعْلَمُون** - فجاءوا بمزابلهم - **فَعَارَضُوا الدِّيْنَ بِآرَائِهِم** - من دُون معرفة بِقُرآن مُحَمَّد وآل مُحَمَّد المفسِّر بتفسيرهم، من دون معرفة بحقائقِ أدعيتهم وزياراتهم ورواياتهم وأحاديثهم - **فَعَارَضُوا الدِّيْنَ بِآرَائِهِم فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** - ضَلُّوا وأضَلُّوا، بالضبط مَثلما وصفهم إمامنا الصَّادقُ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه من أنَّهم (يتعلَّمونَ بعضَ عُلُومنا الصَّحيحة - شيئاً من العلوم الصحيحة - وَيُضِيفُونَ إِلَيها - يُضيفون إلى ما تعلَّموه

- أَضْعَافَهُ وَأَضْعَافَ أَضْعَافِه منَ الأَكَاذيبِ عَلَينَا - كما يقولُ الصّادقُ - الَّتي نَحنُ منهَا بُراء - ما الَّذي يحصُل بعد ذلك؟ - فَيتقَبّلُهُ الْمُسْتَسْلِمُونَ من شيعَتنا - الَّذين استسلموا لَهمَ - عَلَى أَنَّهُ منْ عُلُومنَا فَضَلُوا وَأَضَلُّوهُم).

فِي (بَصائرِ الدرجات) للشيخ أبي جعفرٍ مُحمّد بنِ الحسن الصفار رضوان الله تعالى عليه، من أصحابِ إمامنا الحسن العسكري صلواتُ الله وسلامهُ عليه / طبعةُ مُؤسّسة النعمان / بيروت - لبنان / في الصفحة الثانية والأربعين / الباب الثاني عشر، الحديثُ الأول: **بسنده، عَن أَبِي رَبِيْعِ الشَّامِي، عَن أَبِي جَعْفَرٍ** - عن إمامنا الباقرِ صلواتُ الله عليه، أبو ربيعٍ الشامي يقول: **كُنْتُ مَعَهُ جَالِساً** - معَ الإمامِ جالساً - **فَرَأيتُ أنَّ أَبَا جَعْفَرٍ قَدْ قَامَ فَرَفَعَ رَأسَهُ وَهُو يَقُول: يَا أَبَا الرَّبِيْعِ حَدِيْثٌ تَمْضَغُهُ الشِّيْعَةُ بِأَلْسِنَتِهَا** - تُرددُه - **لَا تَدْرِي مَا كُنْهُهُ، قُلتُ: مَا هُو جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ؟ قَالَ، قَولُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ: "إِنَّ أَمْرَنَا صَعبٌ مُسْتَصْعبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَو نَبِيٌّ مُرسَلٌ أو عَبْدٌ مُؤمنٌ امتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَان"، يا أَبَا الرَّبِيْعِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَكُونُ مَلَكٌ وَلَا يَكُونُ مُقَرَّباً؟ وَلَا يَحتَمِلُهُ** - فهناك مَن الملائكة من ليس مُقرباً فهو لا يحتملُ أمرهم - **وَلَا يَحتَمِلُهُ إِلَّا مُقَرب، وَقَد يَكُونُ نَبِي وَلَيس بِمُرسَلٍ؟ وَلَا يَحتَمِلُهُ إِلَّا مُرْسَل** - أنبياء لا يحتملون أمرهم - **وَقَد يَكُونُ مُؤمنٌ وَلَيسَ بِمُمتَحَنٍ؟ وَلَا يَحتَمِلُهُ إِلَّا مُؤمِنٌ قَد امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَان** - وهؤلاء هُم أيضاً قَلَّةٌ قليلةٌ الَّذين امتحنَ اللهُ قُلوبهم للإيمان، هؤلاء أمثال سلمان هؤلاء قلّةٌ قليلةٌ عبر التاريخ.

هذا الحديثُ يأخذنا بشكلٍ مباشرٍ إلى مضمونِ التعمّق في شؤونِ عَقيدة التوحيد، إلى التعمّق في العقيدة السليمة، أوَّلُ فقرة إذا أردنا أن نتناولها في شرحنا لهذا الحديث أن نتحدَّثَ عن التعمّقِ في العقيدة السليمة، وبتعبيرٍ دقيقٍ عن التعمّقِ في شؤونِ عقيدة التوحيد، عن عقيدة أولئكَ المتعمّقين في آخر الزمان الَّذينَ لأجلهم أنزل اللهُ سبحانهُ وتعالى سورة التوحيد وآياتٍ أخرى في الكتاب الكريم سورةُ التوحيد بعظمتها أُنزلت لأولئك المتعمّقين في آخرِ الزّمان.

صفحة (٣٩)، من الباب الحادي عشر، الحديث العاشر: **بسنده، عَن أبي الصَّامت، عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه: إِنَّ حَدِيثَنا** - في الروايات (إِنَّ أَمْرَنَا) ، (إِنَّ حَدِيثَنَا)، قد تكونُ هذهِ الأحاديثُ بمعنىً واحد بالإجمال، إذا أردنا أن ندخل في التفاصيل:

- **فإِنَّ أَمرهم هو مضمونُ عَقيدتهم.**

- **أَمَّا حديثهم فهو علمهم الواصلُ إلينا، المنقولُ إلينا عبرَ كلامهم، عبرَ تفسيرهم لقُرآنهم، عبرَ أدعيتهم وزياراتهم، عبرَ رواياتهم وأحاديثهم.**

بالنتيجة الغايةُ واحدة، والنهايةُ واحدة - **إِنَّ حَدِيثَنَا** - الصَّادقُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه يقول: **إِنَّ حَدِيثَنا صَعبٌ مُستَصْعَبٌ شَرِيفٌ كَرِيمٌ ذَكْوَانُ ذَكِيٌّ وَعِرٌ** - كُلُّ صفة بحاجة إلى شرحٍ وأنا لستُ بصدد تناول كُلِّ لفظة في هذهِ الروايات..

-ذَكْوَانُ ذَكِيٌّ وَعِرٌ لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ - الحديثُ السابق استثنى "لَا يَحتَمِلُه إِلَّا مَلَكٌ مُقرَّبٌ وَنَبيٌّ مُرْسَل وَعَبدٌ قَد امْتَحَن الله قَلبَهُ للإِيمَان"، الحديث السابق استثنى هؤلاء، عدَّهم من المحتملين.

هذا الحديثُ أخرجهم: **لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرّبٌ وَلَا نَبِيٌ مُرْسَلٌ** - هذا أفقٌ أعمق.

-وَلَا نَبِيٌ مُرسَلٌ وَلَا مُؤْمِنٌ مُمْتَحَنٌ، قُلتُ: فَمَن يَحتَمِلُهُ جُعلتُ فِدَاك؟ قَالَ: مَن شِئْنَا يَا أَبَا الصَّامت - مَن شئنا، إن كانوْا من الملائكة المقرّبين، أم كانوْا من الأنبياء المرسلين، أم كانوا من المؤمنينَ الَّذينَ امتحنَ اللهُ قلوبهم للإيمان، (**مَن شئنا**) ، فإنَّ الأمر بأيدينا، نحنُ الَّذينَ نختارُ من هؤلاء كي نُوصلَهُم إلى مقامِ التعمّقِ الَّذي نتحدَّثُ عنه.

قَالَ أَبُو الصَّامت: فَظَنَنْتُ أَنَّ لِلَّه عِبَاداً هُم أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاء الثَّلاثة - قطعاً هذا موجود!! الثلاثةُ يعني؛ الـمَلَك المقرّب، والنَّبيّ الـمُرسَل، والمؤمنَ الممتحن.

في البابِ نفسه في الصفحة الحادية والأربعين، إنَّهُ الحديثُ الحادي والعشرون: **بسنده، عَنْ مَسعدةَ بنِ صَدَقَة، عَن جَعْفَرٍ عَنْ أَبيه** - عن إمامنا الصّادق عن أبيه الباقرِ صلواتُ الله عليهما، - **ذُكِرَت التقيَّةُ يَوماً عِنْدَ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْن** - الإمامُ الباقر هكذا يحدِّثنا عن أبيه السجّاد - **ذُكِرَت التقيَّةُ يَوماً عِنْدَ عَلِيِّ بنِ الحُسَين، فَقَال** - إمامنا السجّاد - **وَالله لَو عَلِمَ أَبُو ذَرّ مَا فِي قَلْبِ سَلْمَان لَقَتَلَهُ وَلَقَد آخَى رَسُولُ الله بَيْنَهُمَا فَمَا ظَنُّكُم بِسَائِرِ الخَلْق؟ إِنَّ عِلمَ العَالِـم صَعبٌ** - علمَ العالِمِ علم الإمامِ المعصوم (إِنَّ علمَ العَالِمِ)، لأنَّ هذا العنوان لا ينطبقُ حقيقةً إلَّا على الإمامِ المعصومِ فقط، إطلاقهُ على غيرِ المعصومِ تجوزاً، هَم الَّذين يقولون: (**نَحنُ العُلَمَاء وَشِيعَتُنا الْمُتَعَلِّمُون**) ، هم يُطلِقونَ على مُتعلّمي شيعتهم من أنَّهم عُلماء، هذا الإطلاقُ مجازيٌّ بملاحظة إطلاق العُلماء عليهم صلواتُ الله عليهم.

-إِنَّ علمَ العَالِـم صَعبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أو مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أو عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَان، قَالَ: وَإِنَّمَا صَارَ سَلْمَانُ مِنَ العُلَمَاء لأَنَّهُ اَمْرؤٌ مِنَّا أَهْل البَيْت - صار من العلماء بحسبِ الشيعة لا بحسبهم، قلتُ لكم: العلماءُ بنحو الحقيقة هم، حتَّى سلمان وأمثال سلمان هؤلاء مُتعلّمون، يُقالُ لهم العلماء ومن أنَّهم أعلمُ الأُمّة سلمان وأمثال سلمان تجوزاً، نعم يُقالُ لهم علماء بلحاظ جُهَّال الأُمّة لا بأس بذلك.

وَإِنَّمَا صَارَ سَلْمَانُ مِنَ العُلَمَاء لأَنَّهُ امْرؤٌ مِنَّا أَهْل البَيْت فَلِذَلِكَ نَسَبُهُ إِلَيْنَا - فَلِذَلِكَ نَسَبُهُ إِلَينا؛ أي هو منسوبٌ إلينا، ولِذا يُقالُ لهُ سلمانُ الـمُحَمَّديّ، الحديثُ جئتُ بهِ لأجلِ أنَّ الحديثَ جاءنا بمصداقٍ من أولئكَ الَّذين هم في أُفقِ المتعمّقين، هم من أبرزِ مصاديقِ المتعمّقين، فالحديثُ جاءنا بسلمانَ مصداقاً واضحاً.

الحديثُ الحادي عشر من نفس الباب: **بسنده، عَنْ أَبِي الصَّامت يَقُول: سَمِعْتُ أَبَا عَبْد الله** - إنَّهُ إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه - **يَقُول: إِنَّ مِنْ حَدِيْثِنَا مَا لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّب وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَل وَلَا عَبْدٌ مُؤْمِن** - ولا عبدٌ مؤمن؛ من الَّذين امتُحنت قلوبهم للإيمان - **قُلتُ: فَمَن يَحتَمِلُهُ؟ قَالَ: نَحنُ نَحْتَمِلُهُ** - هذا عُمقٌ آخر هذا بُعدٌ آخر.

- هناك ما يحتملهُ؛ **مَلَكٌ مُقرَّبٌ ونَبِيٌ مُرسَلٌ وَعبدٌ مُؤمِن مُمتَحنٌ.**

- وهناك ما لا يحتمله مَلَكٌ مُقرب ونَبي مُرسل وعبدٌ مُؤمنٌ مُمتحن، لا يحتملونهُ، وإنَّما يَحتملهُ كما قال إمامنا الصّادق: (**مَن شِئْنَا يَا أَبَا الصَّامت**)، من شاءوا لهُ أن يحتمل.

- وهناك في أفقٍ آخر قال: (**نَحنُ نَحْتَمِلُهُ**).

وأختمُ هذهِ المجموعة بهذهِ الكلمة، إِنَّني أتحدَّثُ عن مجموعةِ الحديثِ المستصعب:

إنَّهُ الحديثُ السادس عشر من البابِ نفسه، من الباب الحادي عشر من (بصائر الدرجات)، والروايةُ عن المفضَّلِ عن إمامنا الباقرِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه: **وَهُو قَولُ الله: "نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيْثِ"** - الكلامُ في أجواءِ الحديثِ الصَّعبِ المُستصعَبِ من حديثهم - **وَهُو قَولُ الله: "نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيْثِ"، فَأَحْسَنُ الحَدِيثِ حَدِيْثُنَا** - فأحسنُ الحديثِ حديثُنا هذا حديثٌ مُنزَّلٌ من الله - **فَأَحْسَنُ الحَدِيْثِ حَدِيْثُنَا لَا يَحتَمِلُهُ أَحَدٌ مِنَ الخَلَائِقِ أَمْرُهُ بِكَمَالِهِ** - حتَّى الاستثناءاتِ بحدود، حتَّى سلمان بحدوده، من هنا قلتُ لكم: من أنَّ إطلاق (العالـم) حتَّى على سلمان هي بنحوِ المسامحة والتجوّز.

- **حَتَّى يَحُدَّهُ** - فإنَّهُ سيكونُ حينئذ لهُ من الإحاطةِ بحقائقِ مضمونِ حديثنا وذلكَ يعني أنَّهُ سيكونُ مُحيطاً بحقائقِ مضمونِ علمهم، وهل هذا يمكنُ؟

- **لَا يَحتَمِلُهُ أَحَدٌ مِنَ الخَلَائِقِ أَمْرُهُ بِكَمَالِه حَتَّى يَحُدَّهُ، لِأَنَّهُ مَن حَدَّ شَيْئاً فَهُوَ أَكْبَرُ مِنْه** - وهذا لا يُتصوَّرُ في أحدٍ من الخلائقِ، فالقانونُ واضحٌ في الزيارةِ الجامعةِ الكبيرة: (**وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم**) ، فكُلُّ شيءٍ صغيرٌ في ساحتكم ليس هناكَ من كبيرٍ في ساحتكم، ليس هناكَ من عزيزٍ في ساحتكم.

من المصدرِ نفسه من (بصائرِ الدرجاتِ) للشيخ الصفَّارِ، من الطبعة نفسها في الصفحة الرابعة والأربعين، في الأحاديث الملحقة بالباب الثاني عشر، الحديثُ الأوّل: **بسنده، عن جابرٍ** - عن جابرٍ الجعفي - **عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه: إِنَّ أَمْرَنَا سِرٌّ فِي سِرٍّ، وَسِرٌّ مُسْتَسِرٌّ، وَسِرٌّ لَا يُفِيْدُ إِلَّا سِرّ، وَسِرّ عَلَى سِرّ، وَسِرٌّ مُقَنَّعٌ بِسِرّ.**

الحديثُ الرابع: **عَن إمامنا الصَّادقِ أيضاً صلواتُ الله عَلَيه: إِنَّ أَمْرَنَا هُوَ الحَقّ، وَحَقُّ الحَقّ، وَهُوَ الظَّاهِرِ وَبَاطِنُ البَاطِن، وَهُوَ السرّ وَسِرُّ السرّ** - وهناك كلمةٌ سقطت في هذه الطبعة بحسبِ النُّسخِ الصحيحةِ (وَسِرٌّ الـمُسْتَسِرّ)، بحسبِ الطبعةِ (وَسِرّ السِرّ الـمُسْتَسِرّ) وهذا ليس صحيحاً، إذا أردنا أن نعود إلى النُّسخِ المخطوطةِ وإلى المصادرِ القديمة.

وَهُو السرّ وَسِرّ السرّ وَسِرّ الـمُسْتَسِرّ وَسِرّ مُقَنَّعٌ بِالسرّ . هذه الأحاديثُ أقولُ عنها بالإجمالِ إنَّها تُوجِّهنا إلى حقيقةِ التعمُّقِ في عقيدتهم.

صفحة (٤٣٩)، البَاب السادس، الحديثُ الأوّل: **بِسنده، عَن صَفوان عَن ذَرِيح، قَالَ: سَمِعْتُ** - هذا هو ذريحٌ المحاربي من أشياعهم من الشخصيّاتِ المعروفة في شيعتهم - **عَن ذَرِيح، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْد الله يَقُول: إِنَّ أَبِي** - الإمام الصّادق يُحدِّث عن أبيه الباقر - **إِنَّ أَبِي نعْمَ الأَبُ رَحمَةُ الله عَلَيه كَانَ يَقُول: لَو أَجِدُ ثَلَاثَة رَهْط أَسْتَودعُهُم العلْم وَهُم أَهْلٌ لذَلك لحَدَّثتُ بِمَا لَا يُحتَاجُ فِيه إِلَى نَظَر فِي حَلَال وَلَا حَرَام وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوم القيامَة، إِنَّ حَدِيْثَنَا صَعبٌ مُستَصْعَبٌ لَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا عَبْدٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيْمَان** - هذا أنموذجٌ من الأحاديثِ الَّتي تُخبِرنا من أنَّهم لو وجدوا أحداً يستحقَّ أن يستأمنوه على علمهم فإنَّهم سوف يُعلِّمونهُ، سوفَ يُعلِّمونهُ الحقائق، وسوف يُعلِّمونهُ كيفَ سينتفعُ من علمه هذا، وسوفَ يُعلِّمونهُ ماذا سيظهر من علمه، وماذا سيخفي، وسوفَ يُعلِّمونهُ بأيَّةِ طريقةٍ وبأيِّ أسلوبٍ سيظهرُ ما يُظهرُ من العلم الَّذي علَّموهُ إيَّاه.

هذهِ حقيقةٌ، أهلُ البيت برنامجهم واضحٌ وبيِّنٌ ومُستمرٌ، المشكلةُ في الشيعة، أبوابُ أهل البيت مُفتَّحةٌ لشيعتهم، أبوابُ الشيعة مُغلَّقةٌ بوجه أئمَّتهم، هذهِ هي الحقيقة، إنَّ هم لو وجدوا أحداً لحدَّثوه، لو وجدوا أحداً لعلَّموه، هذا يعني أنَّ الَّذين في النَّجف منذُ بداية تأسيس الحوزة سنة (٤٤٨) ما جاءَ فيهم أحدٌ هو أهلٌ لأن يُحدِّثوه، لأن يُعلِّموه، هذا هو الواقع، وإلَّا فأين هم؟ أرشدوني، لماذا تفاسيرنا ناصبيَّةٌ؟ لماذا عقائدنا معتزليَّةٌ؟ لماذا فقهنا شافعيٌّ؟ لماذا كُلُّ الَّذي عندنا ليسَ لهُ من علاقة بمُحمَّد وآلِ مُحمَّد، هذا هو واقعنا..

ختامُ حديثي بما جاء في (رجال الكشي) وهو كتابُ حديثيٌّ ما هو بكتابِ رجاليٍّ، ولكن يُقالُ لهُ رجالُ الكشي / طبعةٌ مركزِ نشرِ آثار العلَّامة المصطفوي / طهران - إيران / في الصفحة الأولى من الكتاب قطعاً بعد المقدِّمات، بعد مُقدِّمات التحقيقِ الطباعة، الحديثُ الثاني في الكتاب: **إِمَامنا الصَّادقُ صلواتُ الله وسَلامهُ عَلَيْه يقولَ: اعْرِفُوْا** - هذا أمرٌ يُوجَّهُ لي ولكم - **اعْرِفُوْا اعْرِفُوْا اعْرِفُوْا مَنَازِلَ شِيْعَتِنَا** - عندَ مَن؟ عندَ مُحمَّد وآلِ مُحمَّد - **اعْرِفُوْا مَنَازِلَ شِيْعَتِنَا بِقَدْرِ مَا يُحْسِنُونَ مِنْ رِوَايَاتِهِم عَنَّا، فَإِنَّا لَا نَعُدُّ الفَقِيْهَ مِنْهُم** - من فُقهاء الشيعة - **فَقِيْهَاً** - الشيعةُ يعدّونهُ فقيهاً، نحنُ لا نعدّهُ فقيهاً، صاحبُ الزمان لا يعدّهُ فقيهاً، الشيعة يسمّونهم فقهاء، مجتهدون، عُلماء، مراجع، يقولون ما يشاءون الشيعة، أمّا صاحبُ الزمان تقييمهُ شيءٌ آخر - **فَإِنَّا لَا نَعُدُّ الفَقِيْهَ مِنْهُم** - من فُقهاء الشيعة - **فَقِيْهَاً حَتَّى يَكُونَ مُحَدَّثاً** - من أولئك الَّذين يُغبقُون كأس الحكمة بعد الصَّبوح، كما حدَّثنا أميرُ المؤمنين، من أولئكَ الَّذينَ يُرمى التفسيرُ في مسامعهم، مَن الَّذي يفعلُ ذلكَ بهم؟ إمامُ زماننا، في زمان الغيبة، في زمان السترة، كما قالَ سيدُ الأوصياء - **فَإِنَّا لَا نَعُدُّ الفَقِيْهَ مِنْهُم فَقِيْهَاً حَتَّى يَكُونَ مُحَدَّثاً، فَقِيْلَ لَهُ: أَوَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُحَدَّثاً؟ قَالَ: يَكُونُ مُفَهَّماً وَالْمُفَهَّمُ مُحَدَّث** - ألا لعنةُ على منهج مراجع حوزة النَّجف، ألا لعنةٌ لعنةٌ على منهجهم القذر الَّذي باعد فيما بيننا وبين إمام زماننا، وباعد فيما بيننا وبين أولياء إمام زماننا الَّذين لا نعرفهم الآن بسببِ حقارةِ هؤلاء الَّذين في النَّجف، ضحكوا على أجدادنا وآبائنا بقذاراتهم النَّاصبيّة وحرمونا من دينِ مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد.